مراجعات في الكتب

محمود اسماعيل صيني وآخرون، **العربية للحياة**، الكتاب الأول، مكة ١٩٨٢، ٢٨٤ صفحة؛ الكتاب الثاني، مكة ١٩٨٣، ٤٤٤ صفحة.

تقع سلسلة **العربية للحياة** في أربعة كتب نتناول منها للمراجعة الكتابين الأول والثاني اللذين وضعا خصيصاً لتعليم اللغة العربية للطلاب المبتدئين. أما الكتاب الثالث فهو موجّه لطلاب المستوى المتوسط والكتاب الرابع للمتقدمين. قام بتأليف هذه السلسلة نخبة من أساتذة اللغة العربية في جامعة الملك سعود بالرياض لتعليم العربية لغير الناطقين بها. ووضع المؤلفون هذه السلسلة من الكتب الدراسية للتجريب والمراجعة، فتمّ تجريبها في بيئات مختلفة وعلى فترات متباينة في معهد اللغات بالسعودية والسودان وفي الفليبين.

ما يجذب نظر المتمعن في الكتاب الأول والكتاب الثاني هو المنهج العلمي والأسلوب التعليمي الحديث والطريقة اللاتقليدية التي سار عليها المؤلفون؛ فالكتاب الأول يشمل مقدمة عامة وتعريفاً موجزاً بالمحتوى وارشادات مفصلة للمعلم في كيفية استخدام الحوارات والتدريبات. يتكون الكتاب الأول من خمس وحدات تضمّ كل منها ثلاثة دروس تدور حول موضوع او فكرة واحدة فقط، وتحوي كل وحدة مجموعة من الحوارات والتدريبات، وتمارين «اختبر نفسك»، وملخص القواعد وقائمة المفردات والتعبيرات الجديدة. وفيما عدا الوحدة الأولى تتضمن كل وحدة حوارين او ثلاثة حوارات تحوي ٩٠ كلمة وتعبيراً جديداً في المتوسط، وحوالي عشرة تراكيب لغوية أساسية ومثلها من البنود النحوية. أما متوسط التدريبات في كل وحدة من الكتاب الأول فيبلغ ٣٦ تدريباً تستخدم عدداً محدداً من الأنماط بمعدل عال من التكرار في نفس الوحدة. ويتألف قسم «اختبر نفسك» من مجموعة من التمارين يقوم التلميذ بأدائها بنفسه، وفي نهاية كل وحدة ملخص لبنود القواعد النحوية بصورة مبسطة وحصر للتراكيب اللغوية التي تهدف الدروس والتدريبات الى التمرين عليها. ويلي هذا القسم ملحق هدفه

الأساسي التدريب على الطلاقة في القراءة، يحتوي على نصوص قرائية معتمدة على المفردات والتراكيب التي جاءت في الحوارات. وتختتم كل وحدة بقائمة بالمفردات والتعبيرات الجديدة مرتبة حسب ورودها في الحوارات او التدريبات للرجوع اليها عند الضرورة. ونجد في آخر الكتاب الأول مسردين، الأول لمفردات الكتاب وتعبيراته والثاني للتعليمات والارشادات الواردة في التمرينات وملخص القواعد. ولا يختلف الكتاب الثاني عن الكتاب الأول من حيث تصميم منهج وحداته، الاّ أنه يتميز بملامح خاصة من حيث تقسيم الدروس والقراءة الجهرية وعدد التدريبات التحريرية والتعبير الشفهي الاستيعابي. وفي الكتاب الثاني مسرد واحد فقط بمفردات الكتاب، وردت فيه المفردات مرتبة بأسلوب ألفبائي محض والى جانب كل كلمة رقم الوحدة والدرس الذي وردت فيه لأول مرة. وبالاضافة الى ذلك ترافق الكتابين شرائط مسجلة للحوارات ونصوص القراءة والتدريبات اللغوية، ومجموعة من الشرائح المصورة.

استخدم المؤلفون في وضع الكتابين الأولين لـ **العربية للحياة** منهجاً وأسلوب تدريس يحيدان كل الحياد عن الأسلوب التقليدي المتبع في تعليم لغة الضاد لغير الناطقين بها من مسلمين وغير مسلمين. ويبدو أنه قد عمدوا الى تبنّي الطريقة الطبيعية (Natural Approach) في التعليم التي شاعت منذ سبعينات القرن العشرين وما تزال رائجة في الولايات المتحدة الأمريكية. ويذهب دعاة هذه الطريقة[1] الى أن العوامل التي تؤثر تأثيراً فعالا في اكتساب لغة ثانية هي عوامل تأثرية (Affective Factors)، ويعني هذا أن شعور الطالب بالأمن والثقة بنفسه أثناء نشاطه التعليمي وكذلك توفير الجو المناسب له، هي عوامل لا غنى عنها لاكتساب لغة ثانية على وجه ناجع. ولا تدعو الطريقة الطبيعية الى تعليم قواعد النحو، بل إنها تشجع الطالب على تطبيقها من خلال محاكاة الأمثلة الواردة في التدريبات. وهذا يعلل عدم وجود جداول لتصريف الأفعال وجداول لحروف الجر مع الضمائر المتصلة، أو شروح للتراكيب الأساسية في **العربية للحياة**. ومن التراكيب غير المشروحة نذكر مَنْ للتركيب «الملابس الصيفية **من القطن**» (٢/ ١٢٥)، واستعمال العائد «هذا هو الطعام الذي **أفضله**» (١/ ٢٥١)، وأسماء التفضيل «هذه هي السيارة **الأولى**» (١/ ١٩٧)، والعدد والمعدود «بعد **عشر دقائق** تصل الفاتورة» (٢/ ٩٧)، واستخدام كم مع الاسم المنصوب «**كم ريالا** تكلف البرقية؟» (٢/ ٢٥٩)، والصفة والموصوف والاضافة وهلم جرا. وتُقدم التراكيب النحوية اللغوية برفقة مفردات قد سبق للطالب معرفتها واستيعابها بصورة وظيفية في تدريبات حديثة ومتنوعة من حيث الشكل وطريقة الأداء ومتدرجة من التدريب النمطي

الميكانيكي الى الاتصالي التعبيري الذي يوفر المجال لاستعمال اللغة طبيعياً. ولما كان استعمال العربية طبيعياً هدفاً رئيسياً من أهداف هذين الكتابين، فان تنظيم الدروس في كل وحدة لا يسير حسب الطريقة التقليدية حيث يكرس درس ما لتعليم تراكيب الجملة الاسمية ودرس آخر لتدريس الماضي المبني للمجهول او المضارع المرفوع والمنصوب والمجزوم مثلا، فان دروس **العربية للحياة** مبنية حسب مواضيع المواقف والحوادث التي تجابه الطالب في حياته اليومية. ومما يضفي على الكتابين حيوية فعالة وواقعية لتنمية مهارة الكلام هو عرض الأفعال المضارعة واستعمالها على أوزانها المختلفة وعلاتها المتباينة قبل استخدام الفعل الماضي. وفي رأينا ان طريقة العرض والتدريس هذه هي انطلاقة خلاقة تخرج عن أسلوب التعليم التقليدي المتبع في كتب تعليم العربية لغير الناطقين بها، حيث يدرّس الفعل الماضي أولا[٢].

وبعكس نظام تعليم اللغات التقليدي، حيث يكرس المعلم معظم الفصول للترجمة وشرح قواعد النحو والاعراب والقراءة، فان الطريقة التعليمية المتبعة في الكتاب الأول والكتاب الثاني من سلسلة **العربية للحياة** تهدف الى انماء مهارة الاصغاء والفهم ومهارة النطق والتكلم خاصة، ومهارتي القراءة والكتابة عامة. وقد حرص المؤلفون كل الحرص على مزج هذه المهارات اللغوية بطريقة متداخلة بعضها ببعض، متيحين للدارسين اكتساب هذه المهارات.

أما مواد الكتابين فانها تتخذ الحوار المستمد من لغة الكلام ومن صميم الحياة الواقعية، وفي مواقف عديدة مختلفة، أساساً لعرض المفردات والتعبيرات والتراكيب اللغوية. والحوار هنا بالعربية الفصحى المعاصرة دون استخدام لغة وسيطة للترجمة، وهو كذلك تعليمي، قصير العبارة، ومبني على أنماط متدرجة في الطول والصعوبة من حوار الى آخر ومن السهل الى الصعب ومن البسيط الى المركب. وقد قام المؤلفون بتشكيل المفردات بصورة جزئية في النصوص، وفي رأينا انتقوا الفصحى القريبة من العامية والتراكيب الفصيحة التي تمكّن الدارس من استعمالها في الكلام بعد اجراء تعديل طفيف عليها. ولاثبات قولنا هذا نسرد بعض العينات من الحوارات:

١ -

- كريم: السلام عليكم
- سالم: وعليكم السلام

- كريم: كيف الحال؟
- سالم: بخير، الحمد لله، وانت كيف الحال؟ (١/ ٢٩).

[يلاحظ في هذا الحوار كثرة العبارات العامية التي جاءت حسب قواعد الفصحى واستخدام «وأنت كيف الحال» بدلا من «كيف حالك» مع الضمير المتصل].

٢ -
- البائع: أهلا وسهلا، أي خدمة؟
- المشتري: مساء الخير، من فضلك، هل عندك معاطف جيدة؟
- البائع: لحظة من فضلك... (٢/ ١٢٧).

[وهنا وردت عبارة «أي خدمة» بمعناها العامي الدارج].

٣ -
مكتب البريد مزدحم، والموظفون في مكتب البريد مشغولون طول الوقت وهم يعملون هنا بالليل والنهار (٢/ ٢٠٦). [استعملت هنا عبارة «بالليل والنهار» كما ترد في العامية بدلا من عبارة ظرف الزمان «ليلا ونهاراً» المستخدمة في الفصحى].

٤ -
تلافي استخدام ان المصدرية غير الدارجة في لغة الكلام واستخدام اسماء المصادر التي يكثر استعمالها في التكلم. وحري بالذكر أن اتيان ان المصدرية قد حصل في آخر الكتاب الثاني (٢/ ٣٨١).

وفي الحوار بين سليمان المريض وطبيب الأشعة يقول الأخير:

٥ -
الفنيان اللذان صوّرا الكلى يريدان عمل صورة ثانية للتأكد. تَحْضُرُ غدا لذلك (٢/ ٣١١). [وردت كلمة «عمل» المستعمله في العامية بدلا من العبارة «القيام بالتصوير» الفصحى].

٦ -
ضابط المرور: خالفت الاشارة، الا تعرف أن الضوء الأصفر يعني هدىء السرعة واستعد للوقوف؟ (٢/ ٣٤١).
[استعمل الفعل «هدىء» بدلا من «خفف» الفصحى].

- ٧

سليمان: اتريد اجراء هذا التحليل من فضلك؟

طبيب التحاليل: هل معك خطاب الطبيب المعالج؟

سليمان: هذا هو الخطاب

طبيب التحاليل: تذهبُ بهذه الورقة... (٢/ ٢٩١)

[استخدام المضارع المرفوع للدلالة على الأمر]. وفي حوار آخر:

الصيدلي: آسف هذه الحقن غير موجودة الآن

المريض: وما العمل؟

الصيدلي: تشتريها من اي صيدلية اخرى، او أُحْضِرُها لك غدا... (٢/ ٢٩٩).

صممت التدريبات والتمارين في **العربية للحياة** على أن تجرى شفهياً وتحريرياً من الآلية البحتة الى المعنوية الدلالية، الى التعبير (او الاتصالية). ومن التدريبات الشفهية ما يستخدم في الترديد والمحاكاة وما يدرب على التبديل البسيط والمركب وتنمية الجملة والتوسيع من الحوار البسيط القصير الى الحوار المركب الطويل. وحرصا على زيادة فرص اشتراك الطالب في التدريبات الشفهية بقدر الامكان، فان الحوار فلا يتم بين الطالب والمدرس فقط، بل بين الطالب وزميله كذلك، واحيانا يأخذ الطالب دور المعلم لادارة التدريب بنفسه. يتدرب الطلبة بأزواج، يسألون ويجيبون عن الأسئلة، يصدرون التعليمات و يتلقونها، مما يوفر الوقت و يربط الطلاب بالنشاط التعليمي. ومن المعروف أن أسلوب التدريب المزدوج يختلف تمام الاختلاف عن الطريقة التقليدية في تعليم اللغات حيث يأخذ المعلم على عاتقه مسؤولية ادارة الفصل الدراسي وطرح الأسئلة وشرح النصوص وقواعد النحو.

تُعين التدريبات الاتصالية بأنواعها المختلفة الطالب على الانطلاق في الكلام وتضعه في مواقف مشابهة لما يصادفه في حياته اليومية، وتجعله مشاركاً في الحوار او ساردا لقصة او حادثة. وعلى سبيل المثال، أقتبس بعض الأسئلة والأمثلة من هذه المواقف: ماذا تفعل او تقول في المواقف الآتية: تطلب المفتاح من مسؤول الاستقبال في الفندق (٢/ ٦٦)، تريد سيارة أجرة تأخذك من الفندق الى المطار (٢/ ٦٦)، تسأل أحد المارة عن مكان صندوق البريد (٢/ ٢٠٥)، تريد حوالة بريدية قيمتها مائة ريال (٢/ ٢١٤)، اتصل بك أحد زملائك بالتلفون وانت خارج المنزل (٢/ ٢٥٠). ومن المواقف التي تتطلب سرد حادث او قصة قصيرة من شأنها ان تدرب الطالب على الكلام بطلاقة ما يلي:

١ ـ شعرت بألم شديد وأخذك أصدقاؤك الى المستشفى حيث فحصك الطبيب وكتب لك الوصفة الطبية. أخذت الدواء ورجعت في صحة جيدة. اذكر ما حدث لك في هذه الليلة (٢/ ٢٧٦).

٢ ـ لك صديق طبيب ذهبت لزيارته فأخذ يحدثك عن عمله فماذا قال؟ (٢/ ٢٨٢).

٣ ـ عندما تسافر تقف في المطار مدة طويلة. بعض الناس مسافرون. بعض الناس قادمون من السفر. بعض الناس ينتظرون أصدقاءهم. بعض الناس يستقبلون أقاربهم. تكلم عن بعض تلك المناظر التي تراها في المطار (٢/ ٣٧).

من الحوارات المتناولة في الكتابين التحيات والتعارف، في المكتبة، في المطار، في موقف الباص، في المطعم، والخ، وقد دأب المؤلفون على وضع هذه الحوارات نصوصاً للقراءة بأسلوب مباشر.

ويجدر ذكره أن التدريبات التحريرية في **العربية للحياة** متنوعة ووظيفية يغلب عليها شكل الوحدة التعليمية ووحدة الموضوع وتجانس المفردات، غير أنه نجد فيها مفردات لم ترد في نصوص الحوارات. وبالاضافة الى ذلك لا تتكرر المفردات في دروس وحدة معينة في دروس الوحدات الأخرى، وربما يعود ذلك الى وحدة الموضوع او الفكرة في كل وحدة. ولاطلاع القارىء على بعض هذه التدريبات نذكر بعض العينات منها:

١ ـ الطلب من الدارس طرح سؤال لجواب:

_____ ؟

هو محاسب. (١/ ٨٦).

٢ ـ اكمال الناقص:

المدير: _____

الطالب: أوراقي في الحقيبة، ها هي! (١/ ٩٧)

٣ ـ استخدام الاختبارات المتعددة الأجوبة:

ما مهنتك؟

أ ـ انا من الرياض.

ب ـ انا ممرضة.

ج ـ انا قادمة من الرياض (١/ ٩٩).

٤ ـ املاء الفراغ:
إشترى أحمد ثلاثة ـــــــــ (ساعة، ساعات، أقلام) (٢/ ٢٠٦).

٥ ـ سؤال متعدد الأجوبة:
يطلب من الدارس كتابة خمسة أجوبة مثلا: هذا الرجل يذهب الى مكتب البريد. لماذا؟ (٢/ ٢٠٣)

٦ ـ وضع علامة تدل على صحة او خطأ العبارة التي تستند الى نص للقراءة (٢/ ٥٤).

في حين أن المؤلفين قد حرصوا على اتباع منهج موحد في تصميم **العربية للحياة**، الا أنهم لم يسيروا ـ في الكتاب الأول خاصة ـ حسب نظام منسق بالنسبة الى الياء التي تختتم بها بعض المفردات، سواء كانت ياء النسبة المشددة او ياء اسم الفاعل، او اسم المفعول بأل التعريف، او ياء الضمير المتصل بالاسم او الفعل، او ياء الأفعال الناقصة، او الياء من أصل الكلمة. ولا يسعنا الا ان نسرد بعض أمثلة لهذه الازدواجية في التهجئة التي قد تبلبل الطالب المبتدىء:

١ ـ ياء النسبة: مصريّ/ مصرىّ؛ ليبي / ليبى؛ سعودى/ السعودىّ؛ اللبناني، العراقي؛ الليلي/ الليلى؛ اسبوعيّ/ الاسبوعي/ الاسبوعى.
٢ ـ ياء اسم الفاعل واسم المفعول المعرّفين بأل التعريف والمشتقّين من أفعال ناقصة: المشترى، النادى، الثانى، المشوى، المقلى/ النادي، الثاني، المشوي، المقلي.
٣ ـ الياء كضمير متّصل بالاسم او الفعل (ني): صديقي/ صديقى؛ ستنتظرني/ ستنتظرنى.
٤ ـ ياء المضارع المرفوع لأفعال ناقصة: (أنا) أشترى، نشترى، يشترى؛ (أنت) تشترى/ تشتري، يشتري؛ (هي) تشتري.
٥ ـ الياء الأصليّة: هي/ هى؛ الذي/ الذى؛ التي/ التى.
٦ ـ الياء في اسم العلم: عليّ/ على.
٧ ـ الياء في مفردات مثل: شيء/ شىء؛ الشأي/ الشاي/ الشاى.

ولو كان استعمال الازدواجيّة في تهجئة الياءات في الألفاظ المذكورة عمداً يهدف الى إطلاع الطالب على ما يمكن العثور عليه في قراءة نصوص أخرى، لترتّب على المؤلفين التنوير بذلك في مقدّمة الكتاب الأول.

وثمّة أخطاء نحويّة وقعت في الكتاب الأول يمكن تصحيحها في الطبعة القادمة، مثل كلمة «نادي» (١/ ١٥٢) في حالة الرفع والصواب هو «ناد» في حالتي الرفع والجر؛ إعطِ في صيغة الأمر (١/ ٢٨١) والصواب أعطِ. ووردت شين «عشر» مسكنة (بدلاً من علامة الفتح) في الأعداد حادي عشَر. اثنا عشَر، رابع عشَر، خامس عشَر (١/ ٢٦٩، ٢٧١، ٢٨٢)، وبالفتحة بدلاً من السكون في «عشْرة» (١/ ١١٤). ولو قلّ استعمال الريالات السعوديّة، وأسماء المدن والجرائد في الدروس والتمارين، والأزياء السعوديّة في الشرائح المصورة، وازداد استخدام العملات المتداولة في سائر الدول العربيّة لأنقذ ذلك الكتابين من بيئتهما المحليّة ولأضفى عليهما طابعاً شاملاً.

والحق يقال انه بالرغم من هذا فان مؤلفي الكتابين الأولين من سلسلة **العربية للحياة** قد أنجزوا انطلاقة ناجحة وتجربة جريئة لما اتبعوه من أصول تعليميّة حديثة، ومنهج علمي موحّد، وطريقة مباشرة في تعليم العربيّة لغير الناطقين بها قلّما نجد مثيلاً لها في كتب أخرى لتدريس العربيّة.

صادوق مصليح

هوامش

1 Terrel, Tracy, "A Natural Approach to Second Language - Aquisition and Learning", *Modern Language Journal,* 61 (1977), pp. 325-337; Gardner Robert and Wallace E. Lambert, *Attitude and Motivation in Second Language Learning,* Masschusetts, 1972.

2 Farhat Ziadeh and R. Bayly Winder, *An Introduction to Modern Arabic,* Princeton, 1957; Peter Abboud and Ernest McCarus, *Elementery Modern Standard Arabic,* Cambridge University Press, N.Y., 1983.